الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية العلوم السياسية
قسم الدراسات السياسية

صعود اليمين المتطرف في أوروبا: الأسباب والتداعيات "دراسة حالة فرنسا"

The Rise of the Extreme Right in Europe: Causes and Consequences "France as a Case Study"

إعداد الطالبة: أحلام حمدان
المشرف العلمي: أ.م. د. نزار جزان

الملخص

يقدم هذا البحث دراسة تحليلية لأسباب وتداعيات صعود اليمين المتطرف الأوروبي بشكل عام ويركز على اليمين المتطرف الفرنسي المتمثل بحزب التجمع الوطني كحالة دراسية، وذلك من ناحية دراسة السمات العامة للخطاب السياسي والإيديولوجيا السياسية التي يقوم عليها هذا التيار، وتحليل العوامل التي أدت إلى تزايد حضوره وتمثيله في الحياة السياسية الأوروبية بشكل عام والفرنسية بشكل خاص والتداعيات التي أنتجها في هذا المجال، وتجادل الدراسة بأن تزايد التأثير السلبي للمهاجرين واللاجئين على الأمن وعلى الاقتصاد الأوروبي ، وكذلك الأزمات الاقتصادية التي عانت منها الدول الأوروبية، الى جانب مجموعة من العوامل الأخرى كأيديولوجيا تفوق الهوية القومية بالإضافة إلى ضعف الأحزاب التقليدية فيها وعجزها عن تقديم حلول فعالة للمشاكل الرئيسة التي تعاني منها هذه الدول، أدى إلى تصاعد أحزاب اليمين المتطرف وممارستها لدور فاعل في الحياة السياسية فيها والذي كان له تداعيات على مختلف الأصعدة. وتستنتج الدراسة بأن تنامي دور حزب التجمع الوطني وتزايد تمثيله البرلماني، قد أدى إلى إعادة تشكيل النظام الحزبي والحياة السياسية في فرنسا وفق اعتبارات جديدة جعلت اليمين المتطرف أحد أقطاب التنافس على السلطة التشريعية والتنفيذية، الأمر الذي نتج عنه إعادة النظام الحزبي في فرنسا إلى مرحلة ما قبل الجمهورية الخامسة التي اتسمت الحياة السياسية فيها بالاضطراب وعدم الاستقرار بسبب عدم قدرة أي ائتلاف حزبي الحصول على الأغلبية، وهو ما سيجعل الحكومة الفرنسية رهينة تجاذبات أحزاب الائتلاف، وما ينتج عنها من تأثيرات أخرى في عملية التشريع وإصدار القوانين.

مقدمة

تعد الأحزاب السياسية في الكثير من الدول ولا سيما المتقدمة منها ومن خلال ممارستها لدور فاعل في الحياة السياسية، مؤشراً على ديمقراطية النظام السياسي، نظراً لكونها بذلك تستطيع التأثير على مدخلات ومخرجات العملية السياسية وتستطيع بذلك أيضاً أن تضع وتوظف أيديولوجيتها السياسية التي تتبناها في موقع السلطة، أو تمارس دوراً رقابياً على العمل الحكومي من خلال تشكيلها لمعارضة برلمانية، ولكن عندما تتسم المنطلقات الفكرية للأحزاب بنوع من التطرف والانغلاق على الذات وتتبنى خطاباً سياسياً قائماً على أساس رفض الاندماج مع المكونات الثقافية الأخرى التي يتكون منها المجتمع، يؤدي ذلك إلى بروز اختلال في المشهد السياسي، وتصبح الحياة السياسية تتسم بالتصارع ما بين مختلف الجهات والفواعل الأخرى، كما هو الحال بالنسبة لبروز أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا، حيث شهدت الحياة السياسية في أغلب دول أوروبا الغربية خلال العقدين الماضيين صعوداً لافتاً لأحزاب اليمين المتطرف أو ما يطلق عليه أحياناً أحزاب اليمين الراديكالي أو الشعبوي... حيث حققت هذه الأحزاب نجاحات غير متوقعة في الانتخابات المحلية أو البرلمانية وحتى في الانتخابات الرئاسية وانتخابات البرلمان الأوروبي. هذا الصعود اللافت لأحزاب اليمين المتطرف في أوروبا بشكل عام وفي فرنسا بشكل خاص له أسبابه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وله تداعياته على مختلف الصعد، كما أدى إلى حدوث خلل في الحياة السياسية في هذه الدول التي بقيت لفترة طويلة نسبياً تتسم بالاستقرار وسيطرة الأحزاب التقليدية لليمين أو اليسار وحصولهم الدائم على أغلبية، كما أدى هذا الصعود إلى تشكل قواعد جديدة في المشهد السياسي الأوروبي، حيث أضحت هذه الأحزاب تشكل مكوناً رئيسياً وفاعلاً في الحياة السياسية وتلعب دوراً محورياً في السياسات العامة في دولها معتمدة بذلك على القاعدة الشعبية التي باتت تشهد اليوم اتساعاً متزايداً.

أقسام البحث

يقسم البحث إلى ثلاث فصول ، فضلاً عن مقدمة وخاتمة، حيث ناقش الفصل الأول موضوع اليمين المتطرف الأوروبي، والتطور (مدخل نظري)، ، وذلك من خلال مبحثين، حيث تضمن المبحث الأول نشأة أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا وتطورها، أما المبحث الثاني خصص للحديث عن أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا، الإيديولوجيا الفكرية لهذه الأحزاب، أبرز المفكرين، أهم أحزاب اليمين المتطرف. بحثنا في الفصل الثاني صعود أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا وتداعياته، تفرع هذا الفصل إلى مبحثين، خصص المبحث الأول للبحث في عوامل صعود اليمين المتطرف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ثم تناول المبحث الثاني مؤشرات صعود أحزاب اليمين المتطرف وتداعياته. وخصص الفصل الثالث للحالة الدراسية: اليمين المتطرف في فرنسا، تم تقسيم هذا الفصل الى ثلاثة مباحث، استعرض المبحث الأول النظام الحزبي في فرنسا، تطور اليمين المتطرف في فرنسا وبنائه الايديولوجي، أما المبحث الثاني فقد خصص للحديث عن حزب الجبهة الوطنية (التجمع الوطني حالياً) نشأة هذا الحزب وتطوره، نمو هذا الحزب في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية، مؤشرات وتداعيات هذا الصعود على الحياة السياسية في فرنسا. ينتهي البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة.

خاتمة

استطاع اليمين المتطرف في أوروبا الحفاظ على وجوده على الرغم من البيئة السياسية والشعبية التي كانت رافضة لأي نشاط سياسي لأحزابه، لكن دوره بقي هامشياً في الحياة السياسية حتى بدأت تتوفر الظروف والمتغيرات المناسبة ليعاود نشاطه السياسي لكن في ظل نتائج انتخابية لا تعكس أي قاعدة شعبية تعزز فرصه التنافسية، إلا أنه استمر في الصعود وتمكن من تحقيق المزيد من المكاسب وتوسيع قاعدته الانتخابية حتى تحول إلى ظاهرة سياسية حقيقية تقض مضجع صناع السياسة في أوروبا على مستوى الدول، وعلى مستوى المؤسسات الاتحادية، مخافة من أن يمسك اليمين المتطرف دفة القرار السياسي ليوجه الدول والاتحاد باتجاهات لم تألفها القارة منذ عقود خصوصاً أن الذاكرة الجمعية للأوروبيين ما تزال تزدحم بصور الدمار والخراب التي خلفتها الحرب العلمية الثانية. يرتبط الصعود الانتخابي لليمين المتطرف بجملة من العوامل التي أدت إلى تغير أولويات الناخب الأوروبي، وعزوفه عن تأييد الأحزاب التقليدية السائدة لصالح أحزاب اليمين المتطرف، حيث أظهر الخطاب السياسي لليمين المتطرف استجابة كبيرة لمجمل التحديات التي تواجه المجتمعات الأوروبية والتي تتركز بشكل كبير حول قضايا الهجرة واللاجئين وتأثيرها على الأمن بالإضافة الى الأزمات الاقتصادية والهوية الوطنية والقضايا الأخرى، وكلما ازداد تأثير هذه العوامل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للشعوب الأوروبية كلما ازداد الرفض الشعبي للأحزاب السائدة وفشلها في حل أزمات المجتمع الأوروبي، وبالتالي توسعت القاعدة الانتخابية لليمين المتطرف، واقترب خطوة باتجاه مواقع صناعة القرار، مما ساهم في زيادة حدة المنافسة بين الأحزاب التقليدية السائدة وأحزاب اليمين المتطرف.

النتائج

- عبر اليمين المتطرف في أوروبا مرحلتين أساسيتين الأولى من نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى تفكك الاتحاد السوفييتي، والتي واجه خلالها اليمين المتطرف التهميش السياسي والرفض الشعبي نتيجة الإرث الثقيل الذي يحمله تاريخه العنصري، واقتصرت قاعدته الشعبية في هذه المرحلة على الأشخاص يحملون أفكار اليمين المتطرف كقناعات راسخة، ومثّلت الإسلاموفوبيا والعنصرية القومية جوهر أيديولوجيا اليمين المتطرف في هذه المرحلة، أما المرحلة الثانية فتمتد من تفكك الاتحاد السوفييتي وحتى الوقت الراهن، وشهدت هذه المرحلة توسع القاعدة الانتخابية نتيجة تذمر الشعوب الأوروبية من الأعباء المعيشية الناجمة عن الأزمات الاقتصادية التي جاءت بها العولمة، والزيادة الكبيرة في أعداد المهاجرين واللاجئين، وقد شهدت هذه المرحلة توسع القاعدة الانتخابية لليمين المتطرف والقبول الشعبي في ظل فقدان الثقة بقدرة الأحزاب السائدة على إيجاد مخرج للواقع المعيشي للمواطن الأوروبي، وأصبحت قضية الهجرة محور أيديولوجيا اليمين المتطرف في هذه المرحلة.

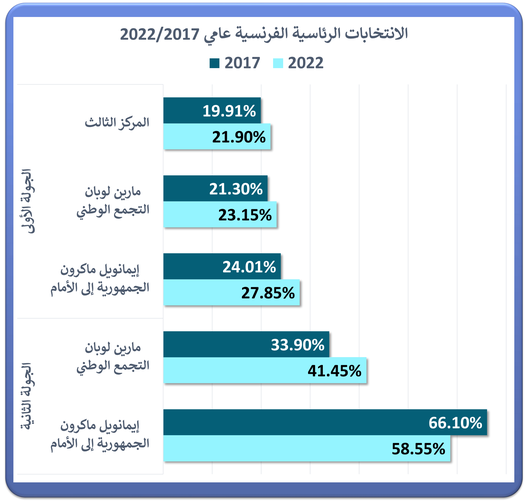

- أيّاً كانت العوامل التي ساهمت في صعود اليمين المتطرف فإن مصلحة الناخب الأوروبي ورؤيته وهواجسه مثّلت المؤشر الذي يحدد هذه العوامل باعتبارها عززت ثقته باليمين المتطرف، ودفعته للتخلي عن إعطاء صوته للأحزاب التقليدية، فهذه العوامل إما تسببت في فقدان الناخب رفاهه الاقتصادي والاجتماعي أو تهديد أمنه الشخصي والمجتمعي أو تشويه الملامح المميزة لأمته وانتمائه القومي إليها، وهي ستدفع الناخب منفردة أو مجتمعة لتغيير اتجاهاته الحزبية نحو اليمين المتطرف باعتبار خطابه السياسي يستجيب بشكل مباشر لمصلحته ويعبر عنها.
- يتميز اليمين المتطرف في فرنسا ببنائه الأيديولوجي الخاص فهو يوظف العنصرية كأداة لإقامة المجتمع المنتج الملتزم عرقياً الذي لا يكتفي بتمييزه عن الأجانب، وإنما بتمييزه عن الفرنسيين غير المنتجين أيضاً، ويعتبر الالتزام العرقي للأفراد التزام فطري طبيعي وليس طوعي، لكنه يقيم اللامساواة بين الأفراد على أساس القدرات والإمكانات كأساس لإقامة العدالة، بينما يرى في المساواة مقدمة لانتشار الفوضى في المجتمع وانحلاله، كما يشكل فرض السلطة والقانون أهم مبادئ اليمين المتطرف.
- أعاد التجمع الوطني تشكيل النظام الحزبي والحياة السياسية وفق اعتبارات جديدة جعلت اليمين المتطرف أحد أقطاب التنافس على السلطة التشريعية والتنفيذية، فقد أعادت نتائج انتخابات 2024 النظام الحزبي في فرنسا إلى مرحلة ما قبل الجمهورية الخامسة حيث كانت الحياة السياسية تعاني من الاضطراب وعدم الاستقرار بسبب عدم قدرة أي ائتلاف حزبي الحصول على الأغلبية، لذلك فإن نجاح الرئيس ماكرون في بناء ائتلاف حزبي يضم طيف واسع من الأحزاب في مواجهة التجمع الوطني سيبقي الحكومة رهينة تجاذبات أحزاب الائتلاف، وبالتالي ستبقى الحكومة عاجزة عن تنفيذ برنامجه الانتخابي.
- فشل حكومة الرئيس ماكرون في إخراج فرنسا من أزماتها سيزيد من فرص التجمع الوطني في الحصول على الأغلبية في الانتخابات القادمة التشريعية والرئاسية، وبالتالي نجاحه في قيادة فرنسا وفق برنامج انتخابي سيكشف عن وجه اليمين العنصري في إدارة العديد من القضايا الملحة في فرنسا سواء في الاقتصاد أو في السياسة الخارجية أو في المجتمع والثقافة والأمن، الأمر الذي يعني أن اليمين المتطرف سيكون في اختبار حقيقي لمدى كفاءته في قيادة فرنسا، وإخراجها من أزماتها ومأزقها، وسيتوقف على نتائج هذا الاختبار مصير فرنسا ومستقبلها.

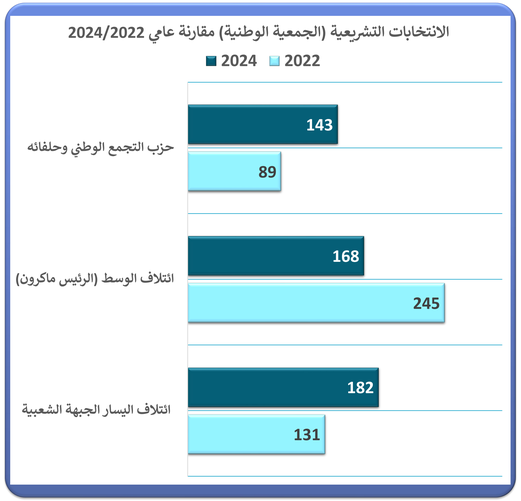

المراجع

1. إيف. ميني، "النظام السياسي الفرنسي: في أسس ومرتكزات ونظم الجمهورية الخامسة في فرنسا"، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، ط1، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق، 2018.
2. أبو الليل. سماح عبد الفتاح، (2021). ظاهرة التنميط: دراسة حالة تأثير الصعود اليميني المتطرف الأوروبي على ملفات اللجوء والهجرة. القاهرة: مصر، مجلة كلية العلوم السياسية والاقتصاد.
3. برترانبادي. دومنيك فيدال، "أوضاع العالم 2019: عودة الشعبويات"، ترجمة: نصير مروة، مؤسسة الفكر العربية، بيروت، 2019.
4. حسين. ابتسام، "اليمين في فرنسا وألمانيا ومستقبل الاتحاد الأوروبي"، مجلة السياسة الدولية، المجلد:52، العدد:208، القاهرة 2017.
5. Fanny DUBRAY, L'extrême-droite en France, Présidentielle 2022 : Les démocratie à l'épreuve de l'extrême – droite en France, Science Po, avril 2022.
6. Henri WALLARD, L'essor des populismes origines et particularité des mouvements populistes : leur succès politique, Revue Futuribles, N 426, 2018.
7. Karadag. ahmet – uygur. m. nazım, Globalization, Nation State and Radical Right in Western Europe: A Relational Analysis, International Journal of Politics and Security, vol. 1, 2019.
8. Naomi. Dewulf, L'évolution du discours d'un parti populiste de droite radicale, Le cas du Front national français sous la présidence de Marine Le Pen, Université Catholique de Louvain, 2017
9. Nathalie BRACK, Jean – Michel DE WAELE et Jean – Benoit PILET, Les démocraties européennes : institutions, élections et partis politiques, 3e édition, Paris, Armand Colin, 2015
10. Pascal DELWIT et Philippe POIRIER, Extrême droite et pouvoir en Europe, coll. Science Politique, Bruxelles, Editions de l'Université de Bruxelles, 2017, 337p.